شؤون اجتماعية
العدد ٥٥
خريف ١٩٩٧م
السنة ١٤

الحركة الاصلاحية في الهند في عهد الامبراطور جلال الدين أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥م)

د. مفيــد الــزيـدي *

تُعد دراسة التاريخ الآسيوي من الدراسات التاريخية البارزة في عملية استجلاء وفهم طبيعة المجتمعات الإنسانية في الجانب الآسيوي، فضلاً عن الحاجة الماسة للتعرف على ماهية الجذور التاريخية لهذه المجتمعات في تلك البقعة من العالم، إلى جانب أن العلاقات العربية - الآسيوية، تمتد في أعماق الزمن البعيد عبر قرون عديدة، فضلاً عن الارتباط الجغرافي والتاريخي والحضاري، الذي يجمع بين الشعوب الإسلامية والعربية.

من هنا جاءت دراستنا هذه لاستجلاء التاريخ الهندي الحديث في بلدٍ وصف بأنه من بلدان العجائب والأساطير، ويشكل حجر الأساس في القارة الآسيوية، ويمتاز بعلاقاته الصميمية مع العرب عبر قرون خلت في ظل الفترة الإسلامية الأولى، حيث أعطى العرب المسلمون مالديهم من علوم وثقافات ولغة وأفكار إلى الهنود بحيث اتخذوا من اللغة العربية والخط العربي رسماً لهم، بحيث يؤكد أحد العلماء الهنود وهو مقبول أحمد

* كلية الآداب - جامعة بغداد - العراق.

Maqpul Ahmad، أحد المتخصصين بالدراسات الإسلامية، أنه من المحتمل لاالصين ولا الأغريق ولا الرومان، أعطوا الهند علماً ومعرفة بذلك القدر الذي أعطاهم إياه العرب.

لقد أعطى ظهور الدولة المغولية في الهند في بداية الربع الثاني من القرن السادس عشر حكماً إسلامياً قوياً للهند، وهيأ المناخ المناسب للافادة من العلم والثقافة العربيتين.

كانت فترة حكم الامبراطور الهندي جلال الدين محمد أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥م)، من أزهى فترات حكم الأسرة المغولية في الهند، مما جعلنا نقبل على دراسة هذه الشخصية المتميزة بأبعادها وانجازاتها السياسية والدينية والعسكرية، واصلاحاتها المجتمعية.

أولاً : جلال الدين أكبر: نشأته... وبداياته الأولى في الحكم.

تولى جلال الدين أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥م)، الحكم في ١٤ شباط ١٥٥٦م، ولم يكن قد بلغ الرابعة عشرة من عمره، آنذاك كانت الهند من الناحية السياسية تشهد فترة من الصراع السياسي على الحكم بعد وفاة والده همايون (١٥٣٠ - ١٥٥٦م)، فشقيقه ميرزا حكيم أمير كابل يرنو ببصره نحو عرش الهند، وخلفاء شير شاه (١٥٥٥ - ١٥٥٦م)، وهما عادل شاه، واسكندر شاه، يتنازعان السيادة في البنجاب. والأمراء الافغان يسيطرون على البنغال، والهند الغربية تعاني من التهديد البرتغالي، والأمراء الراجبون يدعمون سلطانهم في مناطق مختلفة من البلاد، وعدد من الإمارات السلجوقية قد انشقت عن سلطان الدولة، في حين تخضع مناطق اخرى من البلاد إلى سيطرة زعمائها المحليين، فكان على أكبر أن يواجه تلك التحديات ويتعامل معها تثبيتاً لسلطانه على الامبراطورية[١]. فمن هو أكبر؟

ولد في منطقة أماركوت **Amarkut**، في ٢٣ تشرين الثاني ١٥٤٢م، حينما كان والده همايون يخوض معركة في بلاد السند ضد خصومه، ولذلك ظل أكبر زهاء خمس سنوات في أحضان عمه كامران **Kamiran**، وبعد أن بلغ الثانية عشرة من عمره، اكتسب المهارة البدنية في ركوب الخيل، واستخدم الأسلحة، إلا أن صغر سنه حال دون توليه الحكم بعد وفاة والده عام ١٥٥٦م، فتولى بيرم خان **Beram Kan**، ادارة شؤون الامبراطورية، حيث يرتبط مع والده بأواصر الصداقة الحميمة[٢].

كانت تسمية أكبر قد جاءت من كلمة (اللّه أكبر) جَلَ جَلالُه، وهي تسمية شاعت في بلدان المشرق الإسلامي في تلك الفترة التاريخية[٣].

وصفت شخصيته بالرأفة، والرحمة، ولطف المعاشرة، ،الشجاعة، والاجتهاد

بالسياسة، وشؤون الجيش، فَحَارب أعداءه، واستقر له الملك، وخضعت له أقاليم البلاد[٤].

كان أكبر ثالث ملوك الأسرة المغولية في الهند بعد بابر Babar (١٤٩٤ - ١٥٣٠م)، وهمايون. اتسم حكمه في البداية في بسط الدولة على الأقاليم الثائرة مستمداً مشاعره القوية من عهد تيمورلنك، في أواسط آسيا. مستنداً على رغبة عارمة في تذوق الأدب والثقافة الإيرانية، حيث كان عصره في القرن السادس عشر الميلادي يُعد فترة ازدهار النهضة الأوروبية Renaissahces الحديثة، وتطور الحياة الإنسانية الجديدة بديلاً عن حياة الحروب والصراعات العرقية، وهكذا استمد أكبر حكمه من الطابع السياسي - الفكري، الذي صبغ عصره، حيث استطاع أن يحافظ على وحدة الهند، وأن ينجح في وحدة الرأي العام الهندي من المسلمين والهندوس[٥].

فعلى الرغم من كونه زعيماً اسلامياً إلا أنه تزوج من أميرات هندوسيات، وقلد الوزارات لشخصيات هندوسية، محترماً ديانة الهندوس وتقاليدهم ومعابدهم[٦].

كان أكبر ذا شخصية متميزة في تاريخ الهند الحديث، فرض سيطرته على شمال الهند، وشيد امبراطورية مترامية الأطراف، فاستقلت مملكة كابل، وضم كشمير والسند وملتان وملوا والكوجرات، وامتد نفوذه إلى الجنوب في ظل ادارة الأمراء المسلمين، فكانت سياسته الداخلية ذات بصمات واضحة على الحياة العامة في الهند[٧].

وقد قيلت فيه الكثير من الآراء، وبالغت في وصف حكمه الكثير من الدراسات، إلى حد اضفاء الصفات الشخصية المتميزة بِعَدِّه من مشاهير الحكم في التاريخ الإنساني، بحيث قيل بأن بداية حكمه تمثل التاريخ الرسمي للأسرة المغولية في الهند، وأنه المؤسس الحقيقي للامبراطورية المغولية، والمنظم والاداري والمؤسس لحكم الهند الحديث، والمصلح والعالم ورجل الدين، والمحب للثقافة والأدب والحكم والسياسة[٨].

ومن الغريب في الأمر، أنه لم يتعلم القراءة والكتابة.. ومع ذلك كان يجلس ساعات طويلة يستمع إلى من يقرأ له فيستوعب المعلومات لما اتُصف به من ذاكرة قوية، وكان يحب الموسيقى والفلسفة والصيد وركوب الخيل، وكان عادلاً حكيماً يخاف اللّه، ويدعو دائماً بدعاء أعده أحد المتصوفين يقول فيه:

اللهم أنت منحتني ملكاً عظيماً ... وأعطيتني حكمةً وقوةً واقداماً
أنت ربي جعلت طريقي سداداً ... وملأت قلبي بالحق والصواب عزماً
فلساني عاجز عن أن يحصي لك ثناءً ... اللّه أكبر اللّه أكبر وللّه الحمد دواماً[٩]

ورث أكبر عرش الهند والبلاد مفككة، يحكمها حكام متصارعون، ولكنه استطاع

بصرامة وحكمة أن يصبح الحاكم الوحيد لشمال الهند من الركن إلى كودافري، وشمالاً إلى جبال هملايا، وضمت بلاده ثمانية عشرة ولاية أبرزها دلهي، والله آباد، والبنغال، ومالوا، ولاهور، وخاندش، وأكرا، وأجمير، وبيهار، والسند، وكابل، وأورد، والكجرات، وأوريسا، وملتان، وكشمير، وكرار[١٠].

وقد بدأ حملاته العسكرية بالاستيلاء على كانوج عام ١٥٦٧، ثم كيثاور عام ١٥٦٨، وبيرزبالدكن عام ١٥٧٢، وكابل (١٥٨١ - ١٥٨٥) وكشمير عام ١٥٨٥، والسند عام ١٥٨٢، وأحمد باكر ورويبيجابور وسط الدكن عام (١٥٩٥ - ١٦٠٠م)[١١].

كان عصر أكبر طبقاً لآراء معظم المؤرخين والكتاب الهنود، من العصور المزدهرة بالعلوم والفنون، وموئلاً لعدد كبير من العلماء[١٢] والأدباء.

ثانياً: اصلاحات أكبر في الدولة والمجتمع.

إمتاز أكبر بالاصلاحات الادارية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، فأكمل مابدأه سلفه شيرشاه **SherShah** (١٥٥٥ - ١٥٥٦م)، بالرغم من قصر فترة حكمه، فقد طبق أكبر النظام العام في أرجاء البلاد، وأدخل التحسينات على الزراعة والغى نظام الاقطاع وأقام بدلاً عنه إدارة مسؤولة أمام الحكومة وقضى على التمييز على أساس الدين أو المذهب بين رعايا الدولة، وعمل على إيجاد فرص للشغل لجميع رعاياه[١٣].

١ - الاصلاحات الادارية:

كان أكبر أول حاكم هندي سعى إلى تطبيق نظرية الدولة على أساس علماني، واعتمد على سياسة ادارية حديثة في الهند، واستفاد من الجهاز الاداري للتخلص من الحكم الفردي والاستعاضة بحاكم بدلاً عن آخر، وتغيير القوانين حسب المتطلبات اليومية، واحتفظ بسلطة تدبير شؤون البلاد، وخول صلاحيات محددة لموظفيه، وأقام ادارة مركزية للدولة على أساس التعامل بمسؤولية مع حكام الأقاليم، وأشرف بنفسه على جزئيات العمل في ادارة الدولة، والاشراف على الكادر الاداري، وحاول تحقيق المساواة بين جميع العاملين والرعايا في الدولة، وأنشأ مجتمعاً غير طبقي وغير متمايز عرقياً أو دينياً أو مذهبياً[١٤].

واتبع سياسة ذكية في إدارة الدولة عن طريق تغيير الحكام المسلمين بعناصر جديدة كفوءة من الفرس والهندوس والأفغان، لكي لايحدث انشقاق في بيئة المجتمع، وتركيباته الطبقية أو الدينية[١٥].

فكانت اصلاحات الادارة في عهد أكبر تعتمد على تعاون المسلمين والهندوس في حكم الأقاليم أو عمل الموظفين بالدولة، فكان من وزرائه المسلمون والهندوس والأفغان،

مـثل رئيس الوزارة الهندوسي مـان سنغ **Man Singh**، واعـتـمـد في الجـانب الاداري أيضاً على التقويم الهجري في السجلات الرسمية للدولة، وشرع قوانين اخرى تهدف إلى تحسين ادارة الدولة[١٦].

أما في القضاء وشؤون المحاكم، فاهتم أكبر بالمساواة أمام القضاء بين المسلمين والهندوس، واحترام القانون من الجميع، والادبيات الفارسية أشارت إلى هذه المسألة مثل كتابات فيضي **Faizi**، وأبوالفضل **Abu-Al-Fazil**[١٧].

وقد استخدم اداريين متمرسين مثل فاضول شيرازي، ومان سنغ، وتودارمال، وخواجا مانشوره، وناظم بخشي، واعتمد على العلماء في المشورة بالقضايا الادارية[١٨].

واتسمت سياسة أكبر أيضاً بسماع شكاوى الناس، وتثبيت أملاك المزارعين وملكياتهم للأرض، وتجاوز عن تأخرهم في دفع الديون المستحقة عليهم لصالح الدولة، ومنع الزواج قبل سن الرشد، وأباح للأرامل الهندوسيات الزواج، ومنع المرأة من حرق نفسها إذا مات زوجها، وامتنع عن جعل أسرى الحرب عبيداً، وشجع العلماء الهندوس على تعلم اللغة السنكريتية، وأمر حكام الأقاليم بالتعرف على مشاكل الرعية، ومعاملة الناس بالحسنى، ومساعدة الفقراء، وعدم قبول الهدايا، ومنع اغتسال الرجال والنساء في الأنهار سوية، ومنع شرب الخمر، ومشي النساء كاشفات وجوههن، ومنح الناس حرية اعتناق الدين، وشارك الهندوس في اعيادهم، ووصف شكيب أرسلان ادارة أكبر في الهند بقوله:

«كانت نهاية أكبر سنة ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م، بعد أن ملأ الهند مآثر ومفاخر، وأدار السلطة إدارة قل من سدد مثلها في الأوائل والأواخر، لأنه إلى زمانه هو كانت سلطنة الهند غير مرتكنة على قواعد ثابتة، وأنظمة مقررة.. بل كان السيف وحده حكماً، وكانت الثورات متصلة وأهواء الأشخاص هي الغالبة، فسير أكبر دولته هذه على أصول ادارة جديرة فارسية مغولية، غاية في الضبط والدقة، ورفع استبداد الأمراء والملوك، فأرضاهم وأراح الرعايا من ضررهم»[١٩].

وتعد مجموعة التشريعات والوصايا التي سنها أكبر بمثابة قوانين تحكم الدولة، وتبسط العدل بين الرعايا، وتصلح أحوال البلاد، ولعل من أهم هذه الوصايا مايأتي:

١ - لابد أن يحيط العامل بأحوال الرعية ولايعتزل في بيته.

٢ - مقابلة كبار القوم بالعز والاحترام اللائقين بهما.

٣ - اقامة الليل وعبادة اللّه صباحاً ومساءً.

٤ - العمل بالمطالعة والكتابة والاخلاق وكتابة التاريخ.
٥ - الاحسان للفقراء والمساكين لاخراجهم من المشقة وضنك العيش.
٦ - التبصر في معاقبة المجرمين ليستحقوا العقاب أو الثواب.
٧ - خدمة أولياء اللّه وأهل المعرفة من الصوفية.
٨ - إذا جاء جاسوس بنبأ فلايجب تصديقه في أول الأمر بل تبين الخبر.
٩ - الاستماع لشكاوى المستضعفين.
١٠- معاملة الرعايا على أساس المساواة.
١١- ترقية الزراعة واعانة الفلاحين مالياً.
١٢- رعاية ومعاينة أحوال الأفراد من الرعية.
١٣- عدم قبول هدية من أحد.
١٤- منع الجنود من دخول بيت أحد من الرعايا دون إذنه.
١٥- مشاورة أهل الخبرة في ادارة البلاد.
١٦- عدم الاعتراض على الذين يخالفون الحاكم في معتقداته.
١٧- إكرام أهل الصلاح والخير.
١٨- السعي في نشر العلوم والآداب.
١٩- مساعدة العائلات الأصيلة في الشرف والمجد.
٢٠- عدم اغفال تعبئة الجنود واعدادهم بالتدريب والتسليح.
٢١- تعليم الرمي واطلاق الرصاص والتمارين العسكرية، وعدم اضاعة الوقت في الصيد فقط.
٢٢- ضرب الطبول عند طلوع الشمس وعند نصف الليل ليشكر الناس اللّه تعالى.
٢٣- اقامة نظام شرطة البلدة.
٢٤- يجب على ضابط الشرطة في كل بلدة أو قرية احصاء النفوس والبيوت والأزقة.
٢٥- ليكن لكل حارة أو زقاق من البلدة رئيس بيده ادارة شؤونها.
٢٦- مساعدة الجار للجار في حالة السرقة واطفاء الحريق.
٢٧- لايخرج أحد من بلدية مسافراً ولايأتي أحد في البلدة من الخارج إلا بإذن من رئيس الحارة.
٢٨- المراقبة على دخول الرجال وخروجهم.
٢٩- لايجوز بيع أو شراء في الأسواق إلا بأخبار رئيس الحارة.
٣٠- في كل حارة من البلدة خفير بالليل يراقب الأجنبي حتى لايبقى سارق أو نشال.

٣١- من مات وليس له وريث أو سافر وانقطع خبره، فإن كان عليه دين من الحكومة فيلزم أولاً استيفاء دين الحكومة من ماله ثم اعطاء الباقي لورثته.

٣٢- شارب الخمر وبائعها ومشتريها ومعصرها كلهم مجرمون يقبض عليهم ويعاقبون بشدة.

٣٣- الاعياد كلها أيام سرور وابتهاج فليفرح الناس، ولاسيما نوروز فإنه أكبر أعياد السنة، وهو اليوم الأول من شهر فروردين.

٣٤- ليس للمرأة أن تركب الفرس إلا للضرورة.

٣٥- لايغتسل الرجال والنساء على الأنهار في محل واحد.

٣٦- لايجوز لتاجر تصدير الخيل إلى الخارج بغير إذن الحكومة.

٣٧- يكون تعيين الأسعار من قبل الحكومة.

٣٨- لاينعقد النكاح بغير اطلاع لاعيان الحكومة.

٣٩- لاينبغي للنساء أن يمشين في الأسواق كاشفات رؤوسهن.

٤٠- لايجوز رهن الأولاد إذا أمست الحاجة بشدة.

٤١- لو أُجبر ولد هندوسي في صباه على دخول الإسلام، فله الخيار حتى يبلغ سن الرشد.

٤٢- للناس حرية تامة في اعتناق الدين[٢٠].

٢ - اصلاحات في نظام الدولة:

كان أكبر صاحب السلطات المطلقة في الهند، وعلى الرغم من ذلك فقد اتبع سياسة المشورة والاستئناس بآراء أهل الخبرة والدراية، ورجال الدولة المرموقين، وقَسَّم جهاز ادارة الدولة إلى مجموعة من المسؤوليات تتضمن:

١ - وكيل السلطة.

٢ - الديوان.. أو الوزير، وهو المسؤول والقائم بأمور الدولة وتسيير شؤونها من الناحية الادارية والاجرائية.

٣ - منصبدار، وهو المسؤول عن شؤون المال.

٤ - ميربخشي، ويدفع مرتبات الجند والقادة، ويشرف على القوات، ومسؤول جيش السلطان الخاص.

٥ - خان سامان، صاحب شؤون البلاط.

٦ - قاضي القضاة، الموكول به شؤون العدل والشرع.

٧ - المحتسب، يراقب سلوك الناس ويمنع ممارسة البدع وارتكاب ماينافي الشرع والآداب.

٨ - المستوفي، وهو محتسب الدولة الأول.

٩ - رئيس الشرطة، وصاحب الحراسة ليلاً في المدن.

١٠- صاحب البريد وأمير العرض والناظر في قضايا الولايات الكبرى، وعليه أن يفتح قصره مرة في الاسبوع لعرض شكاوى الناس أمامه.

١١- صدر الصدور، والمفتي، وقاضي القضاة، ومساعدوهم، وكلهم يعملون وفق الشرع.

١٢- أما من ناحية ادارة ولايات الدولة، فقسم أكبر الهند إلى ولايات (Saba) سبـه، وكل ولاية لها مركز (Sar kar) سركار، وكل مركز له (Barknar) بركنار، وبذلك قُسمت الهند إلى ١٥ ولاية رئيسية هي:

أكرا، اللّـه آباد، أود، دلهي، لاهور، ملتان، كابل، أجمير، البنغال، بيهار، أحمد آباد، مالو، موار، خاندش، نكرا.. وعلى رأس كل ولاية نظام يدعى (Sabahsalir) سبهسلار، وهو القائد العام ونائب السلطان، ولايدخل في حرب أو يبرم صلحاً أو تحالفاً إلا بمشورة وموافقة السلطان، وهو أيضاً المشرف على القضاء، ويعين العمال على الولايات ويقيلهم، ولكنه لايتدخل في أمور الشرع والقضاء، ويأتي من بعده ثمانية من المختصين في الولاية وهم:

١ - **الديوان**: صاحب مالية الولاية.

٢ - **الصــدر**: صاحب الشريعة.

٣ - **العـامـل**: صاحب الخراج والضرائب.

٤ - **البتخشي**: المحاسب، ويراجع العمال.

٥ - **الخزنـدار**: قائد قوات الولاية.

٦ - **القوجدار**: القائد العام لقوات الولاية ويقيم السلام في الأقاليم ويعين العمال.

٧ - **الـكتــول**: صاحب الشرطة والمناط به مراقبة تنفيذ الأوامر والقوانين الصادرة من الدولة.

٨ - **وقــائع نويسي**: مسجل الوقائع وضابط الاتصال بين الحكومة المركزية والولاية، والمراقب الذي لاتخفى عليه الأمور الخاصة بالولاية(٢١).

٣ - اصلاحات في التربية والتعليم:

ازدهرت مجالات التربية والتعليم والآداب والفلسفة، في عهد الامبراطور أكبر، في الهند، فشجع العلم والعلماء، واهتم بالاخلاق العامة والادارة، واعتمد على خبرة العلماء في وضع نظام تربوي محلي يستمد أصوله من طبيعة المجتمع الهندي، وأكد على الحرية الشخصية في القراءة والكتابة، وشدد على ضرورة الاهتمام بالعلوم والآداب

كالفلسفة والرياضيات والمنطق والأدب والسياسة والطب والطبيعة والتاريخ والفلك، وظهر في عصره العديد من العلماء والمربين مثل علام ديواني، وصدر شيرازي، وميرزاخان، وحكيم علي كيلاني، فكانت سياسته الاصلاحية في التربية ذات تأثير واضح في المجتمع الهندي، فخلق أجواء ملائمة من التعاون والصداقة بين الهندوس والمسلمين، وقارن الأوضاع المحلية مع ماوصلت إليه أوروبا في عصر النهضة الحديثة، وأرسل مبعوثين إلى الدول الأوروبية للدراسة والاستفادة من التجارب المتقدمة في العلوم والآداب، وعلى رأسهم حاجي حبيب اللّه، العالم الذي أرسله أكبر إلى أوروبا للدراسة وتعلم اللغات الحديثة[٢٢].

وشهد عصره حظوة العلماء، وتقريبهم من بلاط السلطان، ومشاورتهم في شؤون الدولة، وقضايا تخص الرعية مثل أبوالفضل الكيلاني، مستشار السلطان أكبر، وصاحب منهج اصلاح التعليم، ومدرس الفقه والتفسير والحديث[٢٣].

والشيخ عبدالنبي بن عبدالرسول، الذي قربه أكبر وبالغ في اكرامه، وولاه القضاء والتشريع، ورفعه إلى منصب صدر الصدور، وهو من أعظم المناصب في القصر، وكتب عبدالنبي مؤلفات في النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلسفة، ويعد كتابه «**جامع العلوم**» والملقب بـ«**دستور العلماء**»، من أبرز الكتب في العلوم والفنون في الهند[٢٤].

وكذلك الشيخ عبدالحق دلوي الذي نقل من العربية إلى الفارسية العديد من الكتب العربية، وكان صاحب مدرسة الترجمة إلى الفارسية والهندية من اللغة العربية[٢٥].

٤ - اصلاحات في العمران:

كانت فترة حكم أكبر حافلة بالفن المعماري، وبناء القصور والقلاع والحصون، ومن أبرزها بناء «فتحبور سيكري»، وهي مدينة بناها أكبر رمزاً لانتصاراته التي حققها ضد الملوك الآخرين، وتقع هذه المدينة على مسافة ٣٠ ميلاً من أكرا، وفيها أكثر من ٣٠ عمارة وسور منيع، وبيوت أمراء وبساتين وحدائق، وجامع شامخ استمر بناؤه نحو خمس سنوات، وشيد أكبر عمارة هي: «نومحلا» مكونة من تسعة طوابق تقع في غربي روضة المقبرة، و«رنك محل» وهو قصر ولد فيه السلطان جهانكير **Jahangir** (١٦٠٥ - ١٦٢٧)، و«جهان محل» وهو قصر بناه الشيخ فيروز، ويقع في شمال شرقي قصر السلطان المسمى (تركي سلطانه). أما «فرسي بجيسي»، فهي الأرض التي تقع بين القصر الخاص والديوان الخاص، وتبلغ مساحتها ٢١٧ قدماً طولاً، و١٥٤ قدماً عرضاً، أما (الديوان الخاص) فهو اسطوانة تقع بين القصر الخاص وفرشي بجيسي،

و(الديوان العام)، ويقع شرقي الديوان الخاص، و(بنح محلا) عمارة من خمسة طوابق تتصل بالقصر الخاص، و«محل مريم»، أو قصر مريم، وهو اسم والدة جهانكير، وقصر «جورهابائي» وهو اسم لأميرة مغولية[٢٦].

وقام أكبر أيضاً، بتشييد المباني في أجمير. مثل قلعة أجمير، وجامع أكبري، وتمتاز جميع هذه القصور والقلاع والعمارات بوضوح الفن المعماري المغولي الذي تميز به عهد أكبر في الهند، وبقي شاهداً خالداً على مر العصور لهذا الحاكم.

ثالثاً: أكبر و«نظرية الدين الالهي».

تميز أكبر بصفات شخصية جعلته يتفوق على سواه من السلاطين والحكام في عموم الهند، من حيث الملاحظة والذاكرة اليقظة، والنشاط الذهني، وحب المعرفة والتعليم، والرغبة بالفلسفة والتصوف، ومجالسة أهل العلم والخبرة والرأي، ومن ذلك انشاؤه دار عبادة سميت «عباد خانة»، في مدينة فتحبور عام ١٥٥٨م، جعلها بمثابة منتدى للفقهاء والمتصوفة يدرسون فيها القرآن والتفسير والحديث والفقه[٢٧].

كان أكبر لايبدأ عملاً إلا ويقول: «ياهادي يامعين»، أكثر من زيارة الفقراء والمتصوفة وهو حافي القدمين أكثر الأحيان، واستجاب لمشورة القضاة بالضرب على أيدي الملحدين، وحاول الدمج بين المذاهب في مذهب واحد يدعو إلى التوحيد، وأطلق عليه لقب «إمامي عادل»، أي الأمام العادل، الذي يرجع في أمور الحكم إلى القرآن والسنة والقياس، ويحكم بين الناس بالعدل والانصاف[٢٨].

ومن أبرز أعماله في هذا الخصوص، اعلانه في عام ١٥٨٢م، ماسمي «الدين الالهي»، الذي أراد به أن يعالج قضية تعدد الأديان في المجتمع الهندي، وخلق وحدة دينية في البلاد، وحاول من خلاله تمجيد اسم اللّه وحده، والمزج بين التصوف والفلسفة في العبادات، وبأنه هو الإمام العادل (البادشاه) وظل اللّه في الأرض، والمجتهد الأكبر، ومن أطاعه فقد أطاع اللّه، ومن عصاه فقد خسر الدنيا والآخرة، وتحيته «اللّه أكبر» وجوابها «جَل جَلالَه»[٢٩].

كان هدف أكبر من نظرية الدين الجديد توحيد المسلمين والديانات الأُخرى، حيث دعا العلماء في البلاد للمشاركة في الحوار والمناظرة، والتوصل إلى اتفاق بشأن مذهب جديد يضم أفضل الديانات لكي يضمن للجميع العيش في سلام ووئام بعيداً، عن الصراعات العرقية والخلافات المذهبية، وقد أخذ في الدين الجديد من الإسلام الوحدانية، ومن المسيحية اعتبار الأحد من أيام الاحتفال بالدين، ومن الهندوكية الامتناع عن أكل اللحوم، ومن الأوردية تقديس الحاكم، ومن الوثنية عبادة الشمس

والنـار[٣٠]، من جانب آخر سن قوانين تناقض مبادئ الإسلام الحنيف، فأباح السجود للأمبراطور، وعبادة وتقديس الشمس والنار، وحرم أكل اللحوم والثوم والبصل، ونفى عدداً من كبار العلماء المسلمين الذين لم يتفقوا معه بالرأي، ومنع ختان الأطفال قبل سن الثانية عشرة، ومنع الأذان والصلوات الجامعة، وأمر بتغيير الأسماء الإسلامية مثل محمد ومصطفى وأحمد، وأوقف الحج إلى مكة، وصيام شهر رمضان، وحرَّم دراسة القرآن والحديث، وأمر بأن تحول الجوامع إلى مخازن وأماكن حراسة[٣١].

ويفسر العديد من المؤرخين هذا التحول الجذري في موقف أكبر من الإسلام إلى اغراقه في دراسة التصوف والفلسفة، في حين يرى آخرون أنه حاول أن يوفق بين الديانات المختلفة في البلاد، وأن يحد من الفوارق والخلافات المذهبية بين الناس، تدعيماً لسلطة الدولة والحد من سيادة تعاليم الإسلام على طبيعة المجتمع الهندي لاحداث توازن بينه والديانات الأخرى المنتشرة في البلاد[٣٢].

ولكن هذه الاجراءات التعسفية ضد الإسلام والمسلمين لاتسوغ بتاتاً أهداف أكبر الدنيوية مهما كانت أسبابها وانعكاساتها، ولذلك يمكن عد «الدين الإلهي» بُدعة جديدة تأثر بها هذا الحاكم من خلال تعمقه في دراسة أفكار وتعاليم المتصوفة والفلاسفة السفسطائية والبعيدة عن الواقع.

وعلى الرغم مما ظهر من تباين في المراحل الأخيرة من حكمه تجاه المسائل الدينية، إلا أن أكبر ساهم في انعاش الحياة الفكرية والعلمية في الهند، وخلص البلاد من ويلات المذابح الأهلية والصراعات الطائفية، والنزاعات العرقية، وسعى جاهداً لإيجاد أرضية مشتركة تجمع الأديان والمذاهب كافة، مع اعطاء الناس حق اعتناق المذاهب والمعتقدات الدينية بكامل الحرية أو ارجاع الأمور الدنيوية إلى العقل والحكمة والرأي، ورفض الأمور الغيبية، والاعتماد على لغة الحاضر، ونبذ الأفكار التقليدية، ودراسة وفهم الدين بنظرة متفتحة وعين فاحصة.

الخاتمة.

لابد من التأكيد أن فترة حكم الأمبراطور جلال الدين أكبر للهند، تشكل مرحلة زاهية في تاريخ الهند الحديث، فكان عادلاً وخبيراً بأمور الرعية، مدبراً للدولة، شجاعاً، متوقد الفكر، مجهداً، منفتحاً على مختلف الآراء والطروحات.

اهتم بالعلم والعلماء، وتابع أحكام الشريعة الإسلامية، وأبدى احتراماً للفلاسفة والمتصوفة، مما أظهر لديه نزوعاً متطرفاً في تغيير معتقداته الأولى، وادخال مفاهيم جديدة، واهتمامه بالقرآن والسنة، وهذا ماظهر في سنوات حكمه الأخيرة نتيجة اتصاله

وجلوسه في حلقات المتصوفة والزهاد والفلاسفة، الذين أثروا بلاشك في أفكاره ومعتقداته الدينية، من الناحية الأُخرى، أرسى أكبر مفاهيم اجتماعية ناضجة بإلغاء الفوارق الطبقية، ومساواة الهندوس والمسلمين، ومشاركة العلماء والفقهاء في شؤون الحكم، فلاتصلح أُمة لايتشاور بها أهل العقل والحكمة، فالمشورة نصف الدين.

من الناحية السياسية، وحد أكبر الهند، وقضى على خصومه، وأنهى دعاة الانفصال من الشمال إلى الجنوب، ونشر الإسلام فيها، واعتمد على جميع الفئات والقوميات في ادارة الدولة وتسيير أمورها.

ومن الناحية العلمية والفكرية، فكان عهده فترة ازدهار شهدتها الهند، فظهر العديد من العلماء والفقهاء، وتمت ترجمة الكثير من الكتب العربية إلى الفارسية والأوروبية وغيرها، وشغل القضاة والعلماء أرقى المناصب الادارية والحكومية، وانتعشت علوم الفلسفة والتصوف والفقه والقرآن والحديث والفنون، وشُيدت القصور والمعابد والحصون المعمارية المرموقة التي أصبحت من أبرز معالم تراث الهند في العصور اللاحقة.

وعلى الرغم من ابتداعه «الدين الالهي»، ومخالفته المسائل الفقهية في الإسلام، نتيجة تعمقه في دراسة التصوف والفلسفة والطبيعة، مما جعله يصدر تشريعات تتناقض مع روح وتعاليم الإسلام، إلا أن أكبر يبقى في صفحات التاريخ الحديث مصلحاً اجتماعياً وسياسياً محنكاً، واداريا قديراً، تفتخر به حتى اليوم الأُمة الهندية، وتعده من أبرز مصلحيها، ورجال دولها العريقة على مر العصور.

الهوامش:

١ - عادل حسن غنيم وعبدالرحمن عبدالرحيم. **تاريخ الهند الحديث**، ط١، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥٧.

٢ - جمال الدين الشيال. **تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند**، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٨، ص ٧٩ - ٨٠.

3 - Motial Banaysidass, Studies in Indian Coins, Delhi, 1968, PP. 23 - 25.

٤ - السيد عبدالحي الحسني. **الهند في العهد الإسلامي**، راجعه السيد عبدالعلي الحسني، والاستاذ أبوالحسن الحسني الندوي، الدكن، ١٩٧٢، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

5 - Jawaharial Nehry, The Discovery of India, John Day Company, NewYork, 1945, PP. 255, 346.

٦ - غوستاف لوبون. **حضارة الهند**، نقله إلى العربية/ عادل زعيتر، دار احياء الكتب، بيروت، ١٩٤٨، ص ٢٢٣.

7 - Michael Edwardes, A History of India, From the Earliest Times to the Present Day. London, 1981, P.P. 152 - 157

8 - Michael Prawdin, The Buliders of the Mogul Empire, George Allen, London, 1963, P.P. 74, 189.

٩ - محمد مرسي أبوالليل. **الهند.. تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها**، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٤٠ - ١٤٣.

10- Mohammed Yasin, A Social History of Islamic India 1605 - 1748, India Publishing House, Delhy, 1958, PP. 32 - 33, 99 - 100, John Buchan, India the Nations pf To - Day, A New History of the World, Mitfin Company, Boston. 1923, PP. 24 - 25.

11- K.M. Panikkar, A Survey of Indian History, Asia Pablishing Honse, Bombay, 1962, PP. 124 - 129.

١٢- احسان حقي. **تاريخ شبه الجزيرة الهندية - الباكستانية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٧٠.

١٣- همايون كبير. **التراث الهندي**، مجلس الهند للروابط الثقافية، دلهي، د.ت، ص ٣٥ - ٣٩.

١٤- **المصدر السابق**، ص ٣٩.

15- A. L. Basham, A Ctultur History in India, Oxford University Press, London, 1975, PP. 261 - 262, Nirmal Kumar Bose, Culture and Society in India, Bombay, 1967, P. 310.

16- Sriram Sharma, The Religious Policy of the Mughal Emperors, Asia Publishing, Bombay, 1962, P. 22.

17- Aziz Ahmad, Studies in Islamic Culture in the India Environment, Clar Endon Press, Oxford, 1964, PP. 221 - 222.

18- S. M. Ikram, Muslim Civilization in India, Colum bia Univorsity Press, NewYork, 1965, PP. 143 - 151.

١٩- نقلاً عن: عبدالمنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، دار العهد الجديد، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢١٣ - ٢١٥.

٢٠- محمود علي خان. «**الامبراطور جلال الدين محمد أكبر**»، مجلة ثقافة الهند، دلهي، حزيران، ١٩٥٥، ص ٣٢ - ٤١.

٢١- أحمد محمود الساداتي. **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم**، ط٣، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

22- S. Magbul Ahmad, Indo - Arab Relation, NewDelihi. Second Edition, 1978, PP. 37 - 38,446, Panikkar, Op. Cit., PP. 155 - 156.

23- Ikram, Op Cit., P. 155.

24- Ahmed, Op. Cit., PP. 37 - 38.

أيضاً: محمود اسماعيل الندوي. **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**، ط١، دار الفتح للطباعة، بيروت، د. ت، ص ٢٢٣.

25- Aziz Ahmed, An Intellectnal History of Islamin India, Edinbnrgh University Press, 1969, P. 69.

٢٦- محبوب الله مجيب. «فن العمارة المغولي»، مجلة ثقافة الهند، دلهي، المجلد ١٦، العدد ٢، نيسان ١٩٦٥، ص ١٦ - ٢٣.

27- Sharma, DP. Cit., PP. 19 - 30, A. L. Basham, The Wonder that Was India,

A Survey of the Culture of the India Sub-Continent Before the Coming of the Muslims, Sid Gwick and Jackson, Lodon, 1961, PP. 480 - 481.

٢٨- غنيم وعبدالرحمن. **مصدر سابق**، ص ٩٧.

29- Muhammed Mohar Ali, History of the Bengal, Vol. IA, Muslim Rule in Bengal 600 - 1170 /1203 - 1757, Imam Muhammed Ibn Saed Islamc University, Riyadh, 1985, PP. 220 - 241.

٣٠- الشيال. **مصدر سابق**، ص ١١٤ – ١١٥.

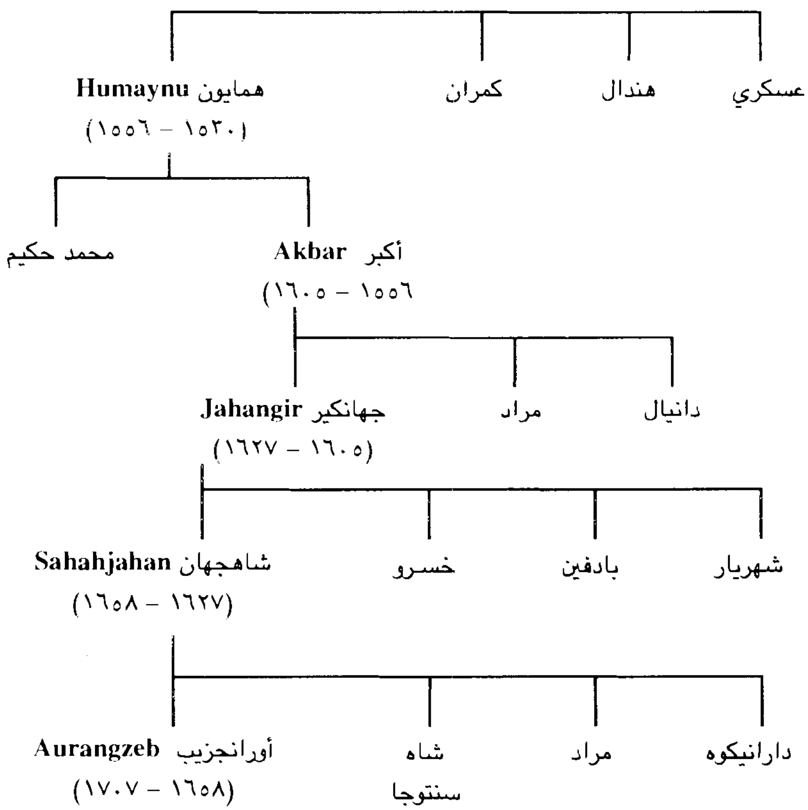
٣١- غنيم وعبدالرحمن. **مصدر سابق**، ص ١٠٢.

32- W.H. Moreland and Atul Chandraqchatterjee, A Sbort History of India, Fonrth Edition, London, 1966, PP. 214 - 220, Sharma, The Religions, P. 49.

الملحق:

سلاطين الدولة المغولية في الهند (١٥٢٦ – ١٨٥٧م)

Babur (١٥٣٠ – ١٥٢٦)



* **المصدر**: محمد مرسي أبوالليل، **مصدر سابق**، ص ١٥٦.